

بجته التأليف والترجمة والنشر ١٩١٤

تاريخ اللغات السامية

تأليف الدكتور

اسرائيل ليفنسون

(أبو ذؤيب)

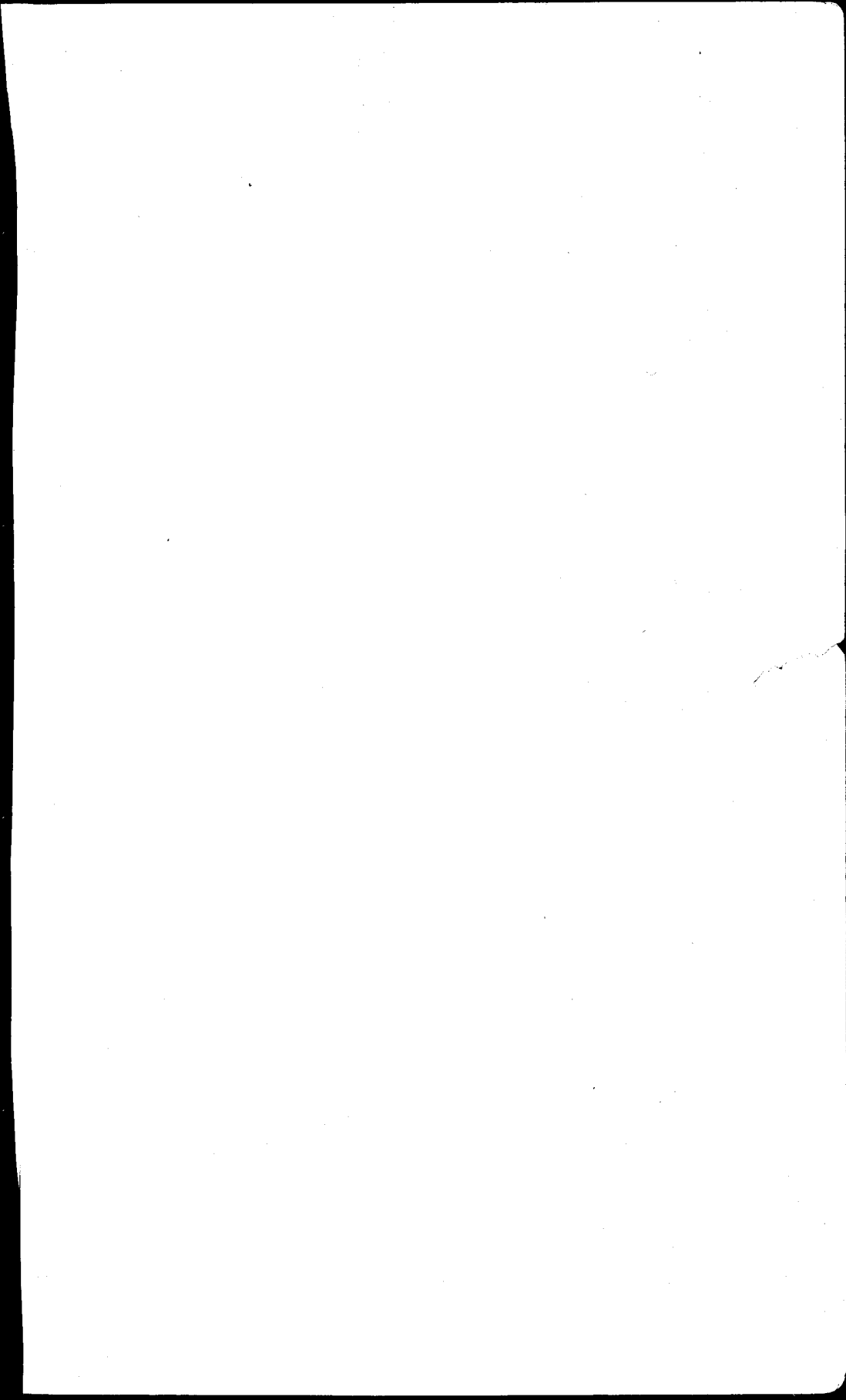
مدرس اللغات السامية بالجامعة المصرية

« حقوق الطبع محفوظة »

الطبعة الاولى

مطبعة الاعتماد بشان حسن الكبريت

١٩٢٩ - ١٣٤٨



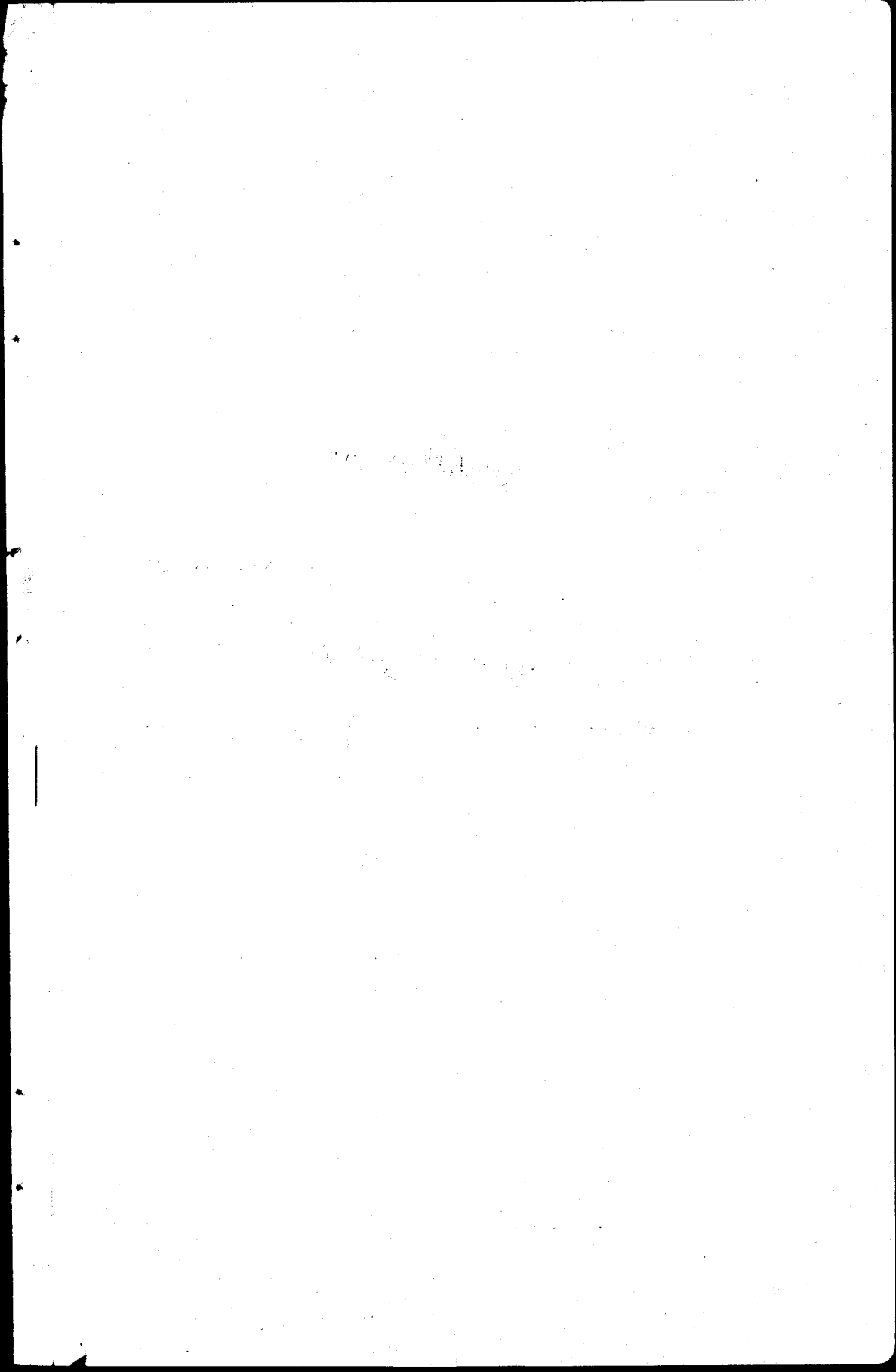
اهداء الكتاب

الى حضرة الاستاذ نابغة العصر

الدكتور طه حسين

رئيس قسم اللغة العربية واللغات السامية بكلية الآداب بالجامعة المصرية

تقدمة إخلاص وإجلال



مقدمة

إذا كان علماء الغرب قد اعتنوا منذ القرن الثامن عشر بالبحث في تاريخ اللغات السامية وأمكنهم أن يصلوا إلى نتائج باهرة فإن هذه البحوث لا تزال مجهولة لدى الأمم الشرقية إلى الآن

وإذا كانت هناك أغراض دينية أو استعمارية تحمل الأمم الأوربية الراقية على الجهد في معرفة لغات وتاريخ الأمم السامية القديمة والوقوف على آثارها في تكوين المدنات العامة فقد كان من الواجب أن تكون لأبناء الأمم الشرقية جولات في كشف ما ترك آباؤهم من عجائب الآثار وما كان لهم من الفضل في تكوين حضارة العالم القديمة التي لا تزال تؤثر بتقاليدها وروحها على حضارة العالم الحديث

على أننا إذا أعفينا الجمهور من البحث في غوامض التاريخ القديم للأمم السامية فإننا لا نغني من يشتغل بدراسة اللغة العربية ويتوغل في تحليل نحوها وصرفها وبلاغتها إذ كانت في ذلك كله متأثرة بأخواتها من اللغات السامية

وقد أحس رجال الأدب في مصر بهذه الحاجة الماسة يوم انشاء الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨ فاستقدموا كبار المستشرقين لتدريس اللغات السامية بكلية الآداب وكان ذلك بداية العناية بدرس اللغات السامية بجانب اللغة العربية

وذلك ما حدا بي إلى وضع مؤلف خاص بهذه اللغات يعين على تحقيق تلك الفكرة النبيلة التي سادت في مصر أكثر من عشرين عاماً

وقد أخذت في تأليف هذا الكتاب منذ توليت تدريس بعض اللغات السامية بالجامعة المصرية حيث أحسنت بحاجة الطلبة إليها

وقد وضعت نصب عيني أن يكون مرجعاً لطبقة المستنيرين من الأدباء والعلماء
والمدرسين بالمدارس الثانوية والعالية في أقطار الشرق

تفقس المراجع التي تبحث في اللغات السامية الى قسمين أولهما في تاريخ اللغات
السامية وقد ألفت فيه كتب وضعها المستشرقون نلكه وبروكلمان وبرجسترس
وهناك مقدمات وضعت في صدر كتب النحو والصرف لجملة من اللغات
السامية تشتمل على نظريات شتى تساعد الباحث في تاريخ اللغات السامية كثيراً
وتمكنه من الوصول الى نتائج ذات أهمية عظيمة

أما القسم الثاني فيشتمل على مؤلفات وضعت في الآثار التي كشفت في
مواطن الأمم السامية القديمة

وهذا المؤلف يجمع بين تاريخ اللغات السامية وبين جملة نماذج من آثارها
وكنت كلما انتهيت من البحث والتنقيب في لغة من اللغات السامية اقتبست أمثلة
متنوعة من آثارها لأن الآثار هي المرآة التي تراءى فيها الصور الصحيحة للغات
الأمم وعقليتها

وقد عنيت بالبحث في نشأة اللغة العربية ووصلت فيه الى نتائج هي ثمرة
جهودى الشخصية اذ كانت بحوث المستشرقين في نشأة اللغة العربية ناقصة وموجزة
بل وغامضة في حين كانت بحوثهم في أغلب اللغات السامية وافية لاسيما في
العبرية فلمهم فيها أبحاث جليلة لذلك اهتمت جد الاهتمام بالبحث في اللغة العربية
ووضعت لها ثلاثة أبواب مفصلة أملت فيها بكل أطوار حياتها منذ الجاهلية
الى الآن

ومن حسن المصادفات أن جاء الأستاذ ليمان (Enno Littmann) الى
الجامعة المصرية هذا العام وهو من أشهر مشاهير المستشرقين الألمان وله مؤلفات
جليلة في الآثار الصفوية والحيانية والثودية والنبطية والتدمرية والحبشية والعربية

فاتصلت به اتصالاً وثيقاً ولما علم أنى شرعت في طبع كتاب في تاريخ اللغات السامية وعدنى بتدوين ملاحظاته عليه

وقد طبعنا تعليقات هذا الأستاذ في نهاية الكتاب وكنا نود أن تكون هذه التعليقات في هوامش الصفحات ليتيسر للقارى الاستفادة منها أثناء قراءته ولكننا لم نستطع ذلك اذ كان الكتاب قد طبع قبل أن يضع الأستاذ تعليقاته ويسرنا أن نأتى ببعض ما قاله الأستاذ ليمان في رسائله اليينا عن هذا الكتاب فقد جاء في خطابه المؤرخ في ٢٨ / ٦ / ١٩٢٩ ما يأتى : لقد قضيت يوماً آخر كاملاً في قراءة فصولك عن اللغة العربية وسرني أنك جمعت موضوعات عويصة واجهدت أن تشرحها للقارى بعبارة عربية كانت دائماً واضحة ومفهومة (١)

وجاء في خطابه المؤرخ في ٢٢ / ٧ / ١٩٢٩ ما يأتى : إن لك الفضل العظيم اذ أنت أول من وضع كتاباً في هذه المادة باللغة العربية أن أسلوبك يعجبني جداً وطريقتك في الكتابة تستحق الثناء العظيم وكثير من تحليلك للآراء والنظريات صحيح (٢)

وقد وافقنا الأستاذ ليمان على أغلب ما جاء في الأبواب الخاصة باللغات الآشورية البابلية والكنعانية والآرامية والعبرية والعربية في شمال الجزيرة ، وأبدى

Nun habe ich auch Ihre Kapitel über die arabische Sprache (١) gelesen ; dazu habe ich wieder einen ganzen Tag gebraucht, Ich habe mich gefreut zu sehen, dass sie vieles mit grossem Fleiss zusammengebracht und schwierige Dinge den Lesern zu erklären sich bemüht haben. Ihre Arabische Ausdrucksweise ist immer sehr klar und leicht verständlich.

Ihr Buch hat als erstes seiner Art in arabischer Sprache (٢) seinen grossen Verdienst. Auch Ihre arabische Schreibweise, die mir sehr gefällt verdient grossen Lob. Auch viele Ihrer Ausführungen und Ansichten sind durchaus richtig.

استحسانه و إعجابه في عدة نقط منها ولكنه خالفنا في نظريات كثيرة خاصة باللغة الحبشية وكان الخلاف بيننا شديداً

على أنني أقدم للاستاذ ليمان جزيل شكرى وعظيم تقديرى لفضله اذ قضى عدة أيام يقرأ هذا الكتاب بعناية ويضع عليه ملاحظاته الدقيقة

وانا لارجو أن يتيسر لنا في الطبعة الثانية أن نضيف الى الكتاب كل ما يصل اليها من نصح كبار المستشرقين وكل ما يجد في الأندية العلمية من النظريات لا سيما ما يتصل بالمشكلات العويصة التي تعرضنا لها في كتابنا والتي لم تحل الى الآن وقد حالت العوائق المادية دون نشر جميع النقوش والكتابات التي رأينا ضرورة نشرها فاكثفينا بأثبات ستين نقشاً وكتابة راجين أن تثبت في الطبعة الثانية ما حالت الوسائل المادية دون اثباته في هذه الطبعة ولا سيما الخرائط الجغرافية التي تمكن من تعيين المواطن المختلفة للامم السامية

ولا يفوتنى أن أقدم شكرى الجزيل للجنة التأليف والترجمة والنشر على عنايتها الفائقة التي بذلتها وتبذلها دائماً في نشر الكتب القيمة والمؤلفات الجدية متوخية في ذلك رفع المستوى الفكرى العام لجمهور المستنيرين غير حاسبة حساباً للنققات الباهظة التي تنفقها بسخاء في هذا السبيل وأشكر على الأخص حضرة رئيس هذه اللجنة الأستاذ احمد امين المدرس بالجامعة المصرية

ورجاؤنا وطيد في أن يكون لهذا الكتاب في الأندية الشرقية المستنيرة وبين جمهرة المستشرقين تأثير ذوبال يشجعنا على المضي في البحث عن العضلات والمشكلات التي تعرضنا لها في كتابنا هذا

المؤلف

الباب الأول

اللغات السامية

تعريف اللغات السامية — أول من اخترع هذه التسمية — عيوب ومحاسن
هذه التسمية — كيف نشأ علم اللغات السامية — هل كانت اللغات السامية لغة
واحدة في بادئ الأمر — المهمل الأصلي للأمم السامية — رأى المستشرقين —
الأدلة التاريخية على أن بلاد العرب من مواطن الأمم السامية الأصلية — أى
اللغات السامية أقرب الى اللغة السامية الأصلية — نظريات المستشرقين المتناقضة
في هذا الموضوع — الطريقة المثلى للوصول الى معرفة أقدم العناصر في اللغات
السامية — قلة المفردات في اللغة السامية الأصلية كما هو شأن اللغات في طور الطفولة
والهمجية — تعصب رينان للآريين واسرافه في الطعن على الأمم السامية —
تفنيد أدلة رينان — المميزات الخاصة باللغات السامية — اشتقاق الكلمة من
الحروف — اهمال الحركات — العقلية الفعلية في اللغات السامية — هل الفعل
هو أصل اشتقاق الكلمة في اللغات السامية أم هو المصدر الأسمى — تصنيف
الفعل في اللغات السامية — أسباب التشابه بين اللغات السامية والحامية — وجوه
الاختلاف بين اللغات السامية — تقسيم اللغات السامية الى مناطق جغرافية —
هل هناك لغات سامية بأئدة؟ —

تطلق كلمة لغات سامية على جملة من اللغات التي كانت شائعة منذ أزمان بعيدة في بلاد آسيا وافريقية سواء منها ما عفت آثاره وما لا يزال باقياً الى الآن وأول من استعمل هذا الاصطلاح هو العالم شلوتسر (Schlözer) في أبحاثه وتحقيقاته في تاريخ الأمم الغابرة سنة ١٧٨١ ب . م (١) .

وقد استخلص هذه التسمية من الجدول الخاص بانساب نوح عليه السلام الوارد في التوراة :

« وهذه مواليد بني نوح سام وحام وياث وولد لهم بنون بعد الطوفان وسام أبو كل بني عابر أخو يافث الكبير ولد له أيضاً بنون ، بنو سام : عيلام وآشور وارفكشاد ولود وآرام وولد لعابر ابنان اسم أحدهما فالج لأن في أيامه قسمت الارض واسم أخيه يقطان ، ويقطان ولد له المودد وشالف وحضرموت ويارح وهديروم وأوزال ودغلة وعوبال وأيمائيل وسبا واوفير وحويلة وبوباب وكات هؤلاء بنو يقطان وكان مسكنهم من ميثا الى ناحية سفار جبل المشرق . هؤلاء بنو سام حسب قبائلهم وألسنتهم » (٢)

وهذا الجدول من أقدم ما وصل الينا عن أنساب الأمم السامية وهو كما نرى يقسم الأسرة البشرية الى آل سام وحام وياث

ولقد تسرب الى نفوس بعض الباحثين شيء من الشك في صحة ما جاء في هذا الجدول بسبب عدم ذكره الكنعانيين بين أبناء سام في حين أن هناك روابط عنصرية ودموية ولغوية وثيقة تربط الاسرائيليين بالكنعانيين وقد عد أبناء يعقوب من بني سام فكان حتماً أن يعد الكنعانيين منهم. لكن العالم بروكلان (Brockelmann) يقول ان بني اسرائيل هم الذين أقصوا الكنعانيين عن جدول الكنعانيين من أسباب سياسية ودينية مع أنهم كانوا يعلمون حق العلم ما بينهم وبين الكنعانيين من الصلات العنصرية واللغوية المتينة (٣)

ونحن نميل الى الاعتقاد بأن الرابطة التاريخية التي كانت تربط العبريين

(١) Eichhorns Repertorium Bd 8 p 161

(٢) سفر التكوين الاصحاح العاشر

(٣) Sprachwissenschaft ; Brockelmann ص ١٥

الندوة اعتمدت الكنعانية من اصل حام لا سام كما صرح بها نوري الكنعاني

بالكنعانيين كانت قد تفككت عراها وامحت آثارها منذ عهد بعيد قبل خروج
بنى اسرائيل من الجزيرة العربية التي كانت وطناً مشتركاً لجميع الامم العبرية
والكنعانية وهذا هو السبب في عد الكنعانيين من بنى حام

وكذلك ذكر هذا الجدول أن آل عيلم وليديا من الساميين مع أنه من
المعلوم أن لهجتهم كانت غير سامية فهل يقال ان التوراة كانت تعتقد أن عيلم
وليديا ساميون على الرغم من أن لغتهم غير سامية لأن الجدول لا شأن له باللغات
أو يقال ان التوراة عدت آل عيلم وليديا من الساميين لأنها وجدتهم خاضعين
لدولة آشور السامية

ليس لدينا ما يساعدنا على ترجيح أحد هذين الاحتمالين
ومهما يكن من شيء فهذا الاصطلاح أصلح وأوفق ما اهتدى اليه العلماء
لتسمية كتلة الأمم التي كانت تقطن في بلاد آسيا الدنيا والتي كونت وحدة
دموية ولغوية مستقلة

والواقع أنه ليس أمامنا كتلة من الأمم ترتبط لغاتها بعضها ببعض كالارتباط
الذي كان بين اللغات السامية

وأول من تنبه الى هذه العلاقة التي بين الأمم السامية هم علماء اليهود الذين

كانوا في الأندلس في القرون الوسطى ثم جاء المستشرقون بعدهم فأخذوا يبحثون

في علم اللغات السامية بعناية وتوسع حتى وضحت هذه العلاقة وضوحاً تاماً
ولما تبين العلماء تلك العلاقة المتينة الظاهرة بين جميع اللغات السامية ساقطهم
هذه العلاقة الى الاعتقاد بأن جميع هذه اللغات متفرعة عن دوحه واحده ثم استنتجوا
من بعض الظواهر أن تلك الدوحه أو تلك اللغة الأصلية لجميع اللغات السامية
كانت منتشرة في منطقة واسعة الاطراف ثم نجمت منها لهجات مختلفة وظلت
هذه اللهجات غير ظاهرة المخالفة للاصل الى أن انتشرت قبائل الاسرة السامية
في بلاد شتى وهاجر بعضها من مهده الاصل الى ثم بدت تأثيرات البيئة في السنة

المهاجرين فأخذت المحالفة تبرز وتنمو حتى أصبحت تلك اللهجات مغايرة للاصل
مغايرة واضحة كأن كلا منها لغة مستقلة

ومن العسير أن نتخيل ما كانت عليه اللغة السامية الاصلية ومقدار كلماتها
بل من العبث اطالة البحث في أمر غامض مجهول نشأ ونما في عصور سبقت
العصور التاريخية

لكن مع ذلك يوجد في اللغات السامية الحالية عدد من الكلمات المشتركة
يمكننا أن نرجح أنها قديمة جداً وأنها كانت مستعملة في أقدم اللغات السامية
لكن ليس لدينا ما يثبت أنها من مادة اللغة السامية الاصلية

وإذا فرضنا صحة الرأي القائل بأنه كان لجميع الامم السامية موطن واحد ومهد
أصلي نشأت كلها فيه ثم تفرعت عنه وانتشرت في أنحاء المعمورة فأين كان هذا
الموطن الاصلی ؟

الحق ان هذه مشكلة دقيقة جداً بذل فيها العلماء المستشرقون جهداً كبيراً
ولكنهم لم يتفقوا على حل لها حتى الآن بل تشعبت فيها آراؤهم واختلفت أقوالهم
اختلافاً عظيماً

فبعضهم يزعم أن المهد الاصلی للساميين انما هو أرض أرمينية بالقرب من
حدود كردستان وبعضهم يقول ان هذه المنطقة هي المهد الاصلی للامم السامية
والامم الآرية جميعاً^(١) ثم تفرعت منها جموع البشر في أرض الله الواسعة

وللتوراة نظرية خاصة عن أقدم ناحية عمرها بنو نوح وهي أرض بابل وقد
تكون هذه النظرية أقرب الى الحقيقة فقد أثبتت البحوث التاريخية أن أرض
بابل هي المهد الاصلی للحضارة السامية

وقد أيد العالم جویدی هذه النظرية في رسالة^(٢) يقول فيها إن المهد الأصلي

(١) Th Noeldeke ; Sem. Sprachen ١٢ ص

(٢) T. Guidi : Della Sede dei popoli sem. (٢)

للأمم السامية كان في نواحي جنوب العراق على نهر الفرات وقد سرد عدداً من الكلمات المألوفة في جميع اللغات السامية عن العمران والحيوان والنبات وقال ان أول من استعملها هي أمم تلك المنطقة ثم أخذها عنهم جميع الساميين

ولكن نولدكه (Noeldeke) يعارضه في هذه النظرية معارضة شديدة ويقول إن من العبث أن نعتمد في اثبات حقيقة كهذه على جملة كلمات ليس ما يثبت لنا أن جميع الساميين أخذوها عن أهل العراق ثم يذهب في تأييد معارضته إلى سرد بعض كلمات عن الحيوان والعمران كانت ولا شك عند جميع الأمم السامية من أقدم الأزمنة مثل جبل وصبي وخيمة وشيخ واسود وضرب فإذ المعاني تختلف تسميتها فكل لغة سامية منها تسميها باسم يغاير الاسم الذي تطلقه عليه اللغة الأخرى مع أنها أجدد المعاني بأن يكون لها لفظ مشترك في كل اللغات السامية لأنها كانت موجودة عند الجميع حين كانوا أمة واحدة وحين تفرقوا أمماً شتى^(١) من كل هذا يتبين أن العسير أن نجزم برأى في المهد الأصلي للأمم

السامية

والذي يمكننا أن نجزم به هو أن أكثر الحركات والهجرات عند أغلب الأمم السامية التي علمنا أخبارها وأسماءها كانت من نزوح جموع سامية من أرض الجزيرة إلى البلدان المعمورة الدانية والقاصية في عصور مختلفة . فأقدم هجرة سامية اتجهت نحو بابل كانت من ناحية الجزيرة وقد أسست تلك الجموع ملكاً عظيماً في بقعة الفرات كان لها من الحول والطول حظ وافر في عصور شتى

وكذلك هاجرت البطون الكنعانية (الآرامية) تاركة بلاد العرب وكان لحوادثها أثر عظيم في حياة العالم القديم ثم كانت الهجرة الاسرائيلية التي فتحت بلاد فلسطين بعد أن صدرت من الجزيرة العربية وكان هذا الفتح سبباً لتقلبات

اجتماعية ودينية كثيرة كبيرة الأثر في التاريخ العام

ولم تقف هذه الهجرات العربية عند العراق وسوريا وفلسطين بل جاوزتها الى مصر أيضاً فقد توغلت قبائل سامية جاءت من ناحية الجزيرة في بلاد النيل وبسطت سلطانها على مصر وكونت في تاريخها الأسر الحاكمة المعروفة بالهكسوس .

وكذلك كانت الهجرة العربية بعد ظهور الاسلام الى جميع أطراف العالم القديم آخر موجة سامية عظيمة غمرت وجه الأرض وهزت العالم بأسره وكان من نتيجتها ان تغيرت أحوال أمم كثيرة في آسية وأفريقية وأوربه وانقلبت فيها كل جوانب الحياة من سياسية ودينية واجتماعية وعمرانية ، بل لا تزال الهجرة من الصحراء الى البلدان الدانية والثائية مستمرة باخطارها الشديدة وعواقبها العظيمة فالتاريخ دائماً يعيد نفسه

على أن هذا كله لا يدل يقيناً على أن الجزيرة العربية كانت هي المهد الأصلي للامم السامية فانه من المحتمل مع هذا كله أن يكون موطن الأمم السامية الأول في منطقة أخرى غير المناطق السامية المعروفة

وكل ما تدل عليه تلك العلاقة المتينة بين الهجرات السامية والجزيرة العربية انما هو تأثير الأمم السامية بلغات الجزيرة العربية وكذلك يلاحظ في مظاهر أغلب هذه الامم أنها مظاهر تكاد تكون صحراوية فمواطف هذه الامم وخيالها واتجاه أفكارها مما يشعرونا بروح الصحراء

بقيت هناك مشكلة أخرى لها خطرهما في هذا الموضوع وهي : أى لغة من لغات هذه الامم السامية أقرب صلة وأقوى شهماً باللغة السامية الاصلية وهذه المشكلة لم تحل أيضاً حتى الآن بل اختلفت فيها أقوال الباحثين أيضاً واضطربت آراؤهم فقد كان أحبار اليهود في العصور القديمة يعتقدون أن اللغة العبرية هي أقدم لغة في العالم (١)

وسرت هذه العقيدة من اليهود الى غيرهم من الساميين حتى أن العرب في القرون الوسطى كانوا يعتقدونها

ثم جاء المستشرقون بعد ذلك فذهبوا مذاهب شتى فالعالم أولسهوزن (Olshausen) يقول في مقدمة كتابه عن اللغة العبرية إن العربية هي أقرب لغات الساميين الى اللغة السامية القديمة وأيد رأيه هذا بجملة أدلة ارتاح لها كثير من علماء الافرنج . وأما المستشرقون الحديثون فينظرون الى هذه المشكلة بعين غير التي كان ينظر بها سابقوهم وتتلخص آراؤهم في أن من العبث أن يبحث المرء في لغات الساميين عن أقربها من السامية الاصلية لانه اذا كان العلم قد اهتدى الى أن اللغة السنسكريتية القديمة لا تعد أقرب لهجة قديمة الى اللغة الآرية الاصلية فكيف يمكن أن يحكم بأن لغة سامية أقرب من غيرها الى السامية الاصلية في حين نعلم أنه قد طرأ على اللغات السامية من التغيرات والتقلبات ما لا يعد ولا يحصى

ولكن يمكن أن يقال ان القرابة التي يبحث عنها بين احدى اللغات السامية واللغة الاصلية هي قرابة نسبية فقط .

(أ) ونحن اذا نظرنا الى المعضلة من هذه الناحية يمكننا أن نقول إن اللغة العربية تشتمل على عناصر لغوية قديمة جداً بسبب وجودها في مناطق منعزلة عن العالم بعيدة عما يتوارد عليه من تقلبات وتغيرات يكثر حدوثها وتختلف نتائجها اختلافاً مستمراً في البلدان العمرانية

على أن ما احتفظت به العربية من القديم ليس بريناً من التغير بل فيه شيء كثير يدل على أنه تقلب في أطوار مختلفة في حين أن غيرها من اللغات السامية قد احتفظ بصيغ وصور قديمة جداً كما في العبرية والآرامية

(ب) وهناك طائفة من الباحثين يقولون إن الاشورية البابلية هي بالنسبة للسامية الاصلية بمثابة السنسكريتية بالنسبة للآرية الاصلية

ولكن هذه النظرية لم تقبل بقبول حسن من فحول المستشرقين لان
الاشورية البابلية انما وصلت اليها بألفاظ قليلة لا يمكن الباحث فيها من أن يقف على
كنها الصحيح وهي مع ذلك خليط من ألفاظ سامية وسومرية وليس في المستطاع
تمييز السامي من السومري بعد أن اندمج الكل بعضه في بعض وأصبح لغة واحدة
في حين أن العبرية والعربية تمتلان العقلية السامية بأكل وجه وأصح صورة ولا
سيما العربية لاننا مهما بازاء مادة غزيرة تمكننا من البحث الدقيق والتأمل العميق
في آثارها المختلفة الالوان

والطريقة المثلى للبحث عن أقرب لغات الساميين الى اللغة السامية الاصلية هي
أن نبدأ باستخلاص القديم من كل اللغات السامية ثم نكون من هذا القديم لغة
واحدة تعتبر كأنها أقرب صورة للغة السامية ثم نوازن بينها وبين جميع اللغات
السامية فالتى تكون منها أقرب الى هذه الصورة تكون هي الاقرب الى السامية
الاصلية .

على أن هناك كلمات مشتركة في جميع اللغات السامية يرجح انها كانت مادة
من اللغة السامية الأصلية مثل الضمير (ع) والعداء (ك) والجملة من الألفاظ مثل
بيت وسماء وماء وأرض وجمل وكنب وحمار . . . وعدد غير قليل من حروف الجر
ولنعمن النظر في ضمائر الرفع المنفصلة وفي أسماء الإشارة في جميع اللغات السامية
التي وصلت اليها نستدل بها على صحة ما نقول .

جدول ضمائر الرفع المنفصلة في اللغات السامية

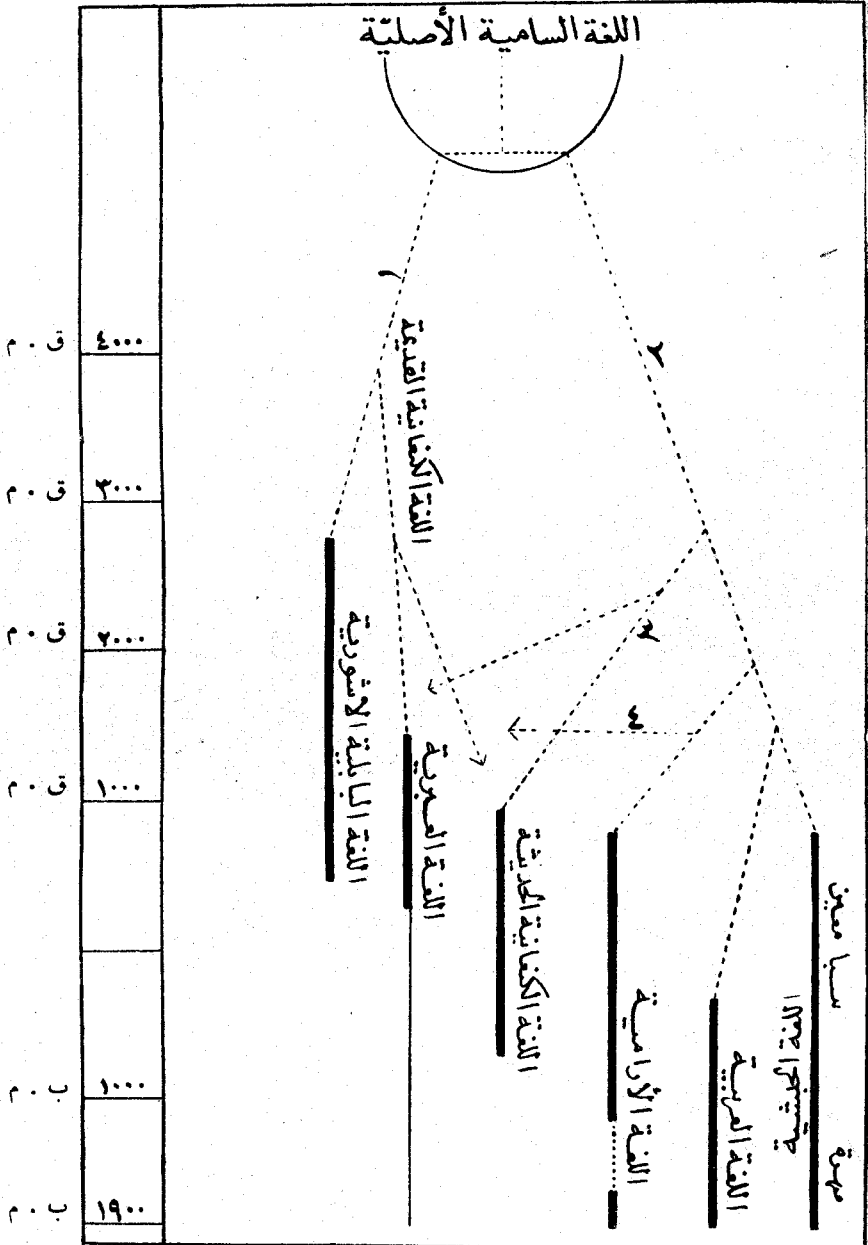
حبشي	عربي	آرامي	سبئي - معيني	عبري	بايلي آشوري
ana	أنا	ena (eno)	ana ?	anohi ani	anāku
anta	أنت ، أنتا	at (ant)	anta ?	atta	atta
anti	أنت ، أنتا	at (anti)	anti ?	att (atti)	atti
we' etu	هو ، هما	hu	hua	hu	su
ye' eti	هي ، هما	hi	hia	hi	si
nehna	نحن ؟	enahnan	nahnu ?	anahnu	anini
antemmu	أنتم ، أنتا	hnan	— ?	nahnu (nān)	aninu mini
anten	أنتن ، أنتا	attun	— ?	attem (attema)	attunu
emuntu we'etomu	هما ، هما	atten	humù	attena atten	attina
emantu we'eton	هما ، هما	(enoun)henoun (enen) henen	hunà	hema hem hena hen	sunu sina

سكسوس في درة اللغة البربر جدول اسماء الاشارة في اللغات السامية

عربي	عبري	بابلي آشوري
ze	זֶה	ʾsatu
halaze	הַלָּזֶה	ʾsatu
zot	זֶה הַזֶּה זֶה הַזֶּה	ʾsati
hahu	הַחֹה	ulā
hahu	הַחֹה	ulliftu
hahi	הַחֵי	ullāti
hahem	הַחֵם	allāti
hahen	הַחֵן	ʾsatumu(m)
éle el	אֵלֵּה אֵלֵּה	ʾsatumu (m)
elu	אֵלֵּה	ʾsuatīna (f)
»	»	ʾsatīna (f)

عربي	عبري	آرامي	سبئي - معيني	عبري	بابلي آشوري
ze	זֶה	hono	zān. s	זֶה	ʾsatu
hahne	הַחֵנֶה	hode	zat	הַחֵנֶה	ʾsatu
hahne	הַחֵנֶה	hau	hua	הַחֵנֶה	ʾsati
hahne	הַחֵנֶה	hoj	hia	הַחֵנֶה	ulā
hahne	הַחֵנֶה	hahen	hahem	הַחֵנֶה	ulliftu
hahne	הַחֵנֶה	hahen	hahen	הַחֵנֶה	ullāti
hahne	הַחֵנֶה	hahen	hahen	הַחֵנֶה	allāti
hahne	הַחֵנֶה	hahen	hahen	הַחֵנֶה	ʾsatumu(m)
hahne	הַחֵנֶה	hahen	hahen	הַחֵנֶה	ʾsatumu (m)
hahne	הַחֵנֶה	hahen	hahen	הַחֵנֶה	ʾsuatīna (f)
hahne	הַחֵנֶה	hahen	hahen	הַחֵנֶה	ʾsatīna (f)

من المحتمل - كما قدمنا - أن جميع الأمم السامية كانت في عصر من



(١) الكتلة القديمة من اللغات السامية (٢) الكتلة المتأخرة أو الطبقة الثانية من اللغات السامية

(٣) لهجة الأمورية (٤) لهجة القبائل العبرية أو الحيبرية Habiri

ويضع مره هذا الرسم له اللغة العربية أمهم ساعة

العصور التي سبقت التاريخ أمة واحدة ذات لغة واحدة تقطن منطقة واحدة وقد وضع العالمان Bauer & Leander رسماً (راجع ص ١١) يوضح مقدار علاقة كل لغة من اللغات السامية بالسامية الأصلية ويبين مسافة البعد أو القرب لكل لغة من هذه اللغات وبين السامية الأصلية ويعين بوجه التقريب تاريخ ظهور كل واحد منها^(١)

على أن اللغة الواحدة في المنطقة الواحدة كثيراً ما تظهر بمظاهر مختلفة يتميز كل مظهر منها بلون خاص

ووجوه الاختلاف تكون في بادئ أمرها يسيرة وقليلة ثم تصبح مع مرور الزمن شديدة ومعقدة ثم تتسع الشقة بينها وتنحو كل شعبة نحوها الخاص حتى تصير ذات كيان خاص وصيغة خاصة

فمن المحتمل أيضاً أن اللهجات السامية الأصلية كانت فيها فروق جوهرية واختلافات أساسية ولكنها في بادئ أمرها كانت غير ظاهرة للعيان ثم برزت بروزاً واضحاً بعد أن انقطع بعضها عن بعض

لكن متى نشأت اللهجات المختلفة في مظاهرها المتأخرة وكيف كان ذلك؟ هذا ما لا نعلم عنه شيئاً مطلقاً فهو مشكلة لم تحل حتى الآن

وينبغي ألا يغيب عن بالنا أن جل ما وصل إلينا من اللغات السامية القديمة إنما هو صيغ وجمل أدبية وعلمية محفوظة في مؤلفات مختلفة. أما المفردات والعبارات التي كانت شائعة الاستعمال عند مختلف الطبقات فلم يصل إلينا منها شيء ففقد هذا النوع من المادة اللغوية يجعل البحث في اللغات السامية القديمة عقيماً أو قليل الجدوى

ولا شك أن اللغة السامية الأصلية لم تكن كثيرة المفردات إذ كانت في طور طفولتها ومبدأ نشأتها مجردة من الحياة الفكرية التي تدعو إلى استحداث ألفاظ

كثيرة للتعبير عن أنواع المعاني التي يخلقها الفكر والخيال كما هي حالة جميع اللغات الهمجية الى زمننا الحاضر فاننا نجد لها ضيقة المادة قليلة المفردات خلوها من العلم والتفكير

لقد أسرف العالم رينان (E. Renan) فيما سماه مميزات العقلية السامية التي ذكرها في كتابه (Histoire des langues semitiques) فقد خالف بمميزاته هذه ما عرفه الناس جميعاً من قبله ومن بعده بل خالف ما يقتضيه العقل والعلم الصحيح وما يدعو اليه العدل والانصاف

والذي حمله على هذا الاسراف هو بغضه الشديد للشرقين وتعصبه الفاضح لعنصره وقوميته اللذين دفناه الى مخالفة العدل والخروج على مقتضى الانصاف انظر اليه وهو يتخذ العقلية العربية والاسرائيلية مقياساً لجميع العقليات السامية فمن أين له أن العرب واليهود يمثلان جميع الأمم السامية الغابرة تمثيلاً صحيحاً كاملاً

وانظر اليه وهو يعد من مميزات اليهود والعرب مميزات عددها غيره من مميزات اليونان والرومان

يرى رينان من صفات الساميين الضعف والفشل في كل شيء ويتخذ عقيدة التوحيد دليلاً على ذلك اذ يقول إن ظهور التوحيد عند بني اسرائيل في العصور القديمة دليل على أن خيالهم ضئيل ذولون واحد بخلاف الأمم الوثنية فان خيالها واسع قوى .

وتراه في موضع آخر يشير الى أنه لم يظهر للساميين تفوق حربي في أى عصر من العصور مع أن نظرة في التاريخ القديم تكفي لبيان اسرافه فقد نعلم أن التاريخ القديم مملوء باخبار الفتوح التي قام بها ملوك بابل وأشور وأنهم كثيراً ما قوضوا أركان أمم قوية من أساسها في حروبهم

وأين أعمال هنيبال وأبيه همليكار ^(١) أثناء حروبهما مع الرومان؟ وأين فتوحات العرب بعد الاسلام؟ تلك الفتوحات التي شملت في أقل من قرن واحد أغلب أمصار العالم القديم؟ ألا يكفي كل هذا ليكون دليلاً على التفوق الحربي عند الساميين؟

تتميز اللغات السامية في بعض أحوالها عن أنواع اللغات الأخرى بمميزات وخصائص تجعل من كل هذه اللغات كتلة واحدة وأهم تلك المميزات تنحصر فيما يأتي :-

(١) أن اللغات السامية تعتمد على الحروف (Consonnes) وحدها ولا تلتفت الى الأصوات (Voyelles) بمقدار ما تلتفت الى الحروف ولذلك لم يوجد بين الحروف علامات للأصوات كما هي الحال في اللغات الآرية وفي حين نجد الأمم السامية تهمل من شأن الأصوات هذا الإهمال الشديد ^{أراها قد أفرطت في الاهتمام بالحروف فزادت في عددها عن المؤلف في اللغات الآرية وأوجدت حروفاً للتضخيم والتضخيم والترقيق وإبراز الاسنان والضغط على الحلق الخ.}

(٢) ان أغلب الكلمات يرجع في اشتقاقه الى أصل ذي ثلاثة أحرف (لبعضها أصل ذو حرفين) وهذا الاصل فعل يضاف الى اوله أو آخره حرف أو أكثر فتتكون من الكلمة الواحدة صور مختلفة تدل على معان مختلفة

(٣) وقد نشأ من اشتقاق الكلمات من أصل هو فعل أن سادت العقلية الفعلية - إذا صح هذا الاستعمال - على اللغات السامية أي أن لأغلب الكلمات في هذه اللغات مظهراً فعلياً حتى في الأسماء الجامدة والألفاظ الدخيلة التي تسربت من اللغات الأعجمية . فقد أخذت هذه الكلمات مظهراً فعلياً أيضاً

وقد رأى بعض علماء اللغة العربية أن المصدر الاسمي هو الأصل الذي يشتق منه أصل كل الكلمات والصيغ ولكن هذا الرأي خطأ - في رأينا - لأنه يجعل أصل الاشتقاق مخالفاً لأصله في جميع أخواتها السامية وقد تسرب هذا الرأي الى هؤلاء العلماء من الفرس الذين بحشوا في اللغة العربية

(١) « حنبعل » عوضاً عنه « هنيبال »
« همليكار » عوضاً عنه « همليكار »

بعقليتهم الآرية والأصل في الاشتقاق عند الآريين أن يكون من مصدر اسمي
أما في اللغات السامية فالفعل هو كل شيء فإنه تتكون الجملة ولم يخضع الفعل
للإسم والضمير بل نجد الضمير مسنداً إلى الفعل ومرتباً به ارتباطاً وثيقاً
وعلى كل حال نظرية العقلية الفعلية في اللغات السامية هي نظريتنا الخاصة إذ
لم يشر إليها أحد من علماء الأفرنج

(٤) ليس في اللغات السامية أثر لإدغام كلمة في أخرى حتى تصير الاثنان
كلمة واحدة تدل على معنى مركب من معنى كلمتين مستقلتين كما هي الحال في
غير اللغات السامية وهذا هو سبب ظهور الإعراب في اللغة العربية وهناك شيء
من بقايا الإعراب في اغلب اللغات السامية في العبرية كحرف סו للمفعول به
والضمير التبعية وفي السريانية كحرف دال لتعيين ضمير التبعية وفي البابلية كلمة
sut لتعيين ضمير التبعية أيضاً

(٥) لقد يكون من العسير جداً أن نتتبع الأطوار التي مرت بالفعل في اللغات
السامية لأنها حدثت في مدى قرون متطاولة كانت أغلبها سابقة للتاريخ
وقد بذل المستشرقون جهوداً عظيمة في البحث عن تاريخ الفعل في اللغات
السامية فكان كل ما وصلوا إليه من أبحاثهم أن اتفق أغلبهم على أن الصيغة القديمة
أو الأصلية للفعل إنما هي صيغة الأمر ثم اشتقت منها صيغة المضارع في حالة الاسناد
للفاعل أو الضمير فمن قم وعد وزد وبع اشتق يقوم ويعود ويزيد ويبيع وعلى أن
الحروف التي زيدت في أول الفعل المضارع مثل الياء والتاء والنون والهمزة في يقوم
وتقوم وتقوم وأقوم كانت زيادتها سابقة لزيادة الحروف التي في آخره مثل الواو والنون
والياء في يقومون وتقومين ويقمن الخ

وليس يدل هذا الرأي على أن الفعل مشتق من صيغة الأمر بل كل ما يدل
عليه أن أقدم صيغة للفعل إنما هي صيغة شبيهة بصيغة الأمر كانت تستعمل للدلالة
على جميع صيغ الفعل من الماضي والمضارع والأمر ثم انتقلت بالتدريج بعد ظهور

صيغتي المضارع والماضي لتدل على حدوث الفعل في صيغة الامر
وكذلك يعتقد العلماء أن صيغة المضارع كانت في مدى قرون كثيرة تدل على
جميع الأزمنة كما هي الحال في اللغة الصينية وفي اللغة الأندوجرمانية الأصلية^(١)
ويعتقد العلماء أنه في الفترة الطويلة التي بين ظهور صيغة المضارع وصيغة الماضي
كانت هناك صيغة تدل على معنى اسم الفاعل طوراً وتدل تارة أخرى على معنى
اسم المفعول وتدل حيناً آخر على مجرد الصفة كما هي الحال في بعض الكلمات مثل
(אור) الذي تدل بالبابلية على فعل uru (انار) أو (טוב) طيب القريب
من الفعل البابلي (tabu)

ويظهر أن الكلمات المؤلفة من حرفين مثل يد وأب وأم وأخ إنما هي أقدم
من الأفعال المشتقة من ثلاثة حروف مثل فعل وكتب وأكل وان الأفعال الثلاثة
أقدم من الأفعال الرباعية

ويوجد في العبرية صيغتان للماضي: الأولى هي العادية مثل كتب وأمر (כתב
ואמר) والثانية مشتقة من المضارع مع إضافة واو العطف مثل וכתב ויאמר
(ويكتب ويأمر) حيث تدل على معنى كتب وأمر وهذه الصيغة قديمة جداً فقد
كانت معروفة في البابلية القديمة وفي الكنعانية العتيقة وربما كانت هي القنطرة التي
تصل بين صيغة الماضي العادية وبين صيغة المضارع

وليس لهذه الصيغة أي أثر في اللغات الأخرى كالعربية والسبئية والحبشية
والآرامية

وليس من شك في أن ظهور الصيغ الدالة على أزمان حدوث الفعل سابق بكثير
لظهور الصيغ الدالة على أوزانه كأفعل وفعل وانفعل واستفعل الخ...
أما الأفعال الرباعية المؤلفة من أربعة أحرف مثل صلصل وجمع وبلبل وقلقل

B. Brugmann: Kurze vergleichende Gram, der Indog. (١)
Sprachen. ٤٩١ ص

(١) يوجد في اللغة العربية صيغة فعل مضارع تستعمل للدلالة
على زمن ماضٍ وهي صيغة الفعل المضارع إذا دخل عليه حرف لم
مثل دخل يفضل

ببطل
صلصل حلحل
بالعبرية والأفamel פרסם גלגל צלצל חלחל שעשע כלכל بالعبرية
فيحتمل انها كانت في الأصل مؤلفة من حرفين اثنين ثم انتقلت في قرون متطاولة
حتى صارت أفعالا رباعية

(٦) تميل الأمم السامية في أساليبها الكتابية الى المحافظة على القديم وعدم
الرغبة في احداث شيء من التغيير والتحول من أجل ذلك كثرت القيود وظهر
المجود في الأساليب الكتابية عند الأمم القديمة منها والمتأخرة

تساءل عدد غير قليل من المستشرقين : هل هناك علاقة بين اللغات السامية
واللغات الآرية ؟ وقد تضاربت أقوالهم في هذا الأمر فبعضهم رجح أن جميع
اللغات السامية والآرية كانت في عصر من العصور لغة واحدة وذكروا أن الموطن
الأول لهذه اللغة الأصلية التي نشأت منها تلك اللغات في أرمينيا كان على تخوم
أرض كردستان

والبعض الآخر— وهم من المحدثين أمثال بروكلمان ونولدكه— سخروا من هذه
النظرية الساذجة وقالوا إن هناك فروقاً جوهرية تميز اللغات السامية عن الآرية
وتجعل كلا منها بعيدة عن الأخرى بعداً لا يتصور معه سبق الاشتراك بينهما في
أصل واحد مدى العصور التاريخية . فاذا كان هناك أصل اشتراك فيه فلا يكون
ذلك الا قبل التاريخ . وما كان قبل التاريخ لا يدخل في حظيرة البحث عند
علماء اللغات

والواقع انه ليس هناك دليل على سبق الاشتراك بين اللغات السامية والآرية في
أصل واحد في أي وقت من الأوقات ولو سبق لها اشتراك في أصل واحد—ولو في
العصور التي قبل التاريخ— لبقيت له مظاهر جوهرية في هذه اللغات إذ من
المستحيل أن تمحى هذه المظاهر تماماً حتى لا يبقى منها شيء مطلقاً

ووجود قليل من الكلمات المتشابهة بين احدى اللغات السامية وحدى اللغات

الآرية لا يدل مطلقاً على وجود صلة أصلية بين اللغتين وليس الا من باب المصادفة وجود كلمة Shesh في اللغات السنسكريتية والفارسية والعبرية للدلالة على ششا
المدد ستة

ولكن من الممكن العثور على صلة بين ألفاظ من اللغات السامية وألفاظ من اللغات الحامية كالمصرية القديمة مثلاً

فان هناك ألفاظاً حامية كثيرة تشبه ألفاظاً عبرية سامية (يم فم ماء الخ ..) ولا سيما الكلمات السامية المشتقة من أصل ذى حرفين ، ثم هناك شيء من الشبه بين قواعد اللغات السامية وقواعد اللغات الحامية (١)

ومع ذلك فليس في الامكان الحصول على برهان واضح يثبت وجود علاقة بين اللغات السامية والحامية لأن اللغات الحامية لم تترك شيئاً من الآثار سوى اللغة المصرية وليس من المعقول أن تصدر حكماً على كل من اللغات الحامية بوساطة لغة كالمصرية القديمة التي لا يزال كثير من مادتها مجهولاً حتى الآن

واذا ذكرنا أن هناك شيئاً من التشابه بين اللغات السامية والحامية في بعض الكلمات والقواعد فن الواجب أن نذكر ايضاً أن هناك فروقاً كثيرة بين السكتلة السامية والسكتلة الحامية في المادة اللغوية والأساليب وتركيب الجمل وقواعد اللغة

نعم إن الاختلاط الشديد الذي لم ينقطع في العصور القديمة بين بعض عناصر سامية وأخرى حامية قد أدى الى اندماج بعض الأمم السامية في الأمم الحامية

« وقد كانت الفتوح الحربية من أهم بواعث الاختلاط بين العنصرين كما حدث في مصر حين فتح الهكسوس الساميون البلاد المصرية الحامية فقد أثروا في اللغة المصرية القديمة تأثيراً عظيماً وامتزجوا بالمصريين امتزاجاً شديداً حمل بعض العلماء

(١) راجع المجلة الالمانية الشرقية ج ٣٨ ص ٤٢٢ Zeitsch d. d, Morgenl.

على أن ينظروا الى المصريين كأنهم أمة سامية مع أن علم اللغات لا يمكنه أن
يبدى رأياً راجحاً في أمر علاقة المصريين بالساميين /

تكلمنا عن وجوه الشبه بين جميع اللغات السامية ونريد الآن أن نشير الى
بعض وجوه الخلاف الظاهرة بينها

ان أوجه الشبه بين أغلب اللغات السامية تظهر في بعض أسماء الأشياء التي
كانت معروفة لهم جميعاً كأسماء أعضاء الجسم وكالضماير فانها متقاربة في جميعها
ولكننا مع ذلك نجد كلمات لا شك أنها كانت مستعملة في أغلب اللغات السامية
للدلالة على أشياء كانت مأووفة عند الجميع تختلف اختلافاً بيناً في كل لغة من هذه
اللغات عنها في الأخرى وقد سبق لنا بيان ذلك . وكذلك نجد اختلافات في
اصطلاحات ضرورية جداً كأداة التعريف فانها في العربية كلمة (أل) في أول
الكلمة وكانت في السبئية حرف (ن) في آخر الكلمة وفي السريانية حركة (و) ^(هـ)
في نهاية الكلمة أيضاً وفي العبرية وبعض اللهجات العربية البائدة حرف (هـ)
في أول الكلمة وأما الآشورية البابلية والحبشية ^{القهربية} فكل أداة للتعريف فيهما مطلقاً

ويستعمل للدلالة على الجمع في العبرية حرفا (يم) للمذكر وفي الآرامية حرفا
(ين) في حين أنه في العربية يستعمل للدلالة على جمع المذكر السالم (واو ونون
أوياء ونون) في آخر الكلمة وعلى جمع المؤنث السالم (ألف وتاء) في آخر الكلمة
أيضاً وأما العبرية فالمألوف للمؤنث (واو وتاء)

ولاحظ المستشرقون أن العبرية تشترك مع السبئية في اصطلاحات كثيرة
غير معروفة في اللغة العربية كما توجد وجوه شبه قوية بين كلمات حبشية وعبرية
وأما وجوه الخلاف بين اللغات السامية في حروفها فاننا نجد حروف العربية
أكثر من حروف العبرية فحروف (ذغ ظ ض) لا أثر لها فيها

ومن المحتمل أن هذه الحروف كانت موجودة في هذه اللغة قديماً ثم فقدت بالتدريج لعدم استعمالها

كذلك فقدت بعض الحروف الحلقية كالعين والقاف من اللغة البابلية في السيم والسامخ وتستعمل العبرية حرفين في موضع حرف (S) وهما سين وسامخ ولكن يظهر أن حرف السين كان في الأصل شيئاً ثم قلب الى سين عند بعض القبائل العبرية

وأهل سمارية (𐤎𐤍𐤏𐤍) لا ينطقون بحرف السين مطلقاً فهو معدوم في لغتهم كما هو مفقود من البابلية

ويحتمل أن السين والسامخ كانا حرفين متشابهين ليس بين نطقيهما الا فرق يسير ثم انحى هذا الفرق مع مرور الزمن وتوالى الأيام وقد لاحظنا بوساطة المقارنة أن أغلب ما يأتي في العبرية بالسين يأتي في العربية والحبشية بالشين والعكس بالعكس

وتنقسم اللغات السامية من الوجهة الجغرافية الى ثلاث مناطق : شرقية وفيها اللغة البابلية الآشورية، وغربية وتشتمل على الكنعانية والعبرية والآرامية، وجنوبية وفيها اللهجات العربية في جميع بلدان الجزيرة العربية واللهجات الحبشية وبعض المستشرقين جعلوا المنطقتين الأوليين منطقة واحدة كبرى تسمى الكتلة الشمالية تقابلها الكتلة الجنوبية التي هي المنطقة الثالثة

ويعترضنا هنا السؤال الآتي : هل وصلت الينا كل اللغات السامية أم هناك لغات سامية لم يصلنا منها شيء ألبتة وهو سؤال ليس من السهل الاجابة عليه بكلام ثابت لا نزاع فيه اذ ليس

لدينا ما يثبت انه كانت هناك لغات سامية فقدت قبل أن نعرف عنها شيئاً أو انه لم يكن هناك الا هذه اللغات التي عرفناها

لكن يحتمل انه كانت هناك لغات سامية فقدت منذ أزمان بعيدة لأن اللغات السامية من أقدم اللغات البشرية، وأنا أميل الى رأى من يقولون بانه كانت هناك لغات سامية فقدت وضاعت كل آثارها قبل العصور التاريخية وبعدها

هناك من العلماء من يعتقد أن اللغات السامية كانت في الأزمان الغابرة منتشرة في بلاد يشهد العلم الآن أنها من مواطن الأتوام الآرية فقد قيل إن آسيا الصغرى وبعض مناطق البلقان وبعض جزر البحر الأبيض المتوسط كانت في بادىء أمرها مأهولة بارهاط سامية

والآن بعد هذه المقدمة الطويلة في تاريخ نشأة اللغات السامية تنتقل الى الكلام عن كل واحدة منها على قدر الامكان

الباب الثاني

اللغة البابلية - الآشورية (١) أركان الأكرام

موقع بلاد العراق - أقدم سكان جنوب العراق - متى نزح الساميون إلى أرض بابل؟ - لمحة من تاريخ بابل وآشور - حضارة الشومريين قبل تأسيس مدينة بابل - معنى لفظ بابل - سرجون الأول مؤسس الدولة والملك في أرض بابل - حياة سرجون - نفوذ الكنعانيين في بابل - أسرة حموربي على عرش بابل - حموربي رجل الشرع والحرب - تاريخ بابل إلى سنة ١٦٥٠ ق. م تحت حكم أسرة شومرية - قبائل كاسانية في بابل - طلائع الجيوش الآشورية في بابل - المنافسة بين آشور وبابل - تاريخ ملوك آشور - امتداد سلطان آشور وتقلصه - خراب مدينة نينوى - أسرة كلدانية على عرش بابل - عصر يختصر الذهب في الحضارة البابلية - بابل في قبضة الفرس ونهاية تاريخها السياسي - انتقال الخط المسماري من الشومريين إلى القبائل البابلية - لماذا ظهر هذا الخط في أرض الفرات؟ - أنواع الخطوط المسمارية - انتشار الخط المسماري - الفلك والحساب والدين في بابل - نقوش بابلية وآشورية - قاموس بابلي آشوري

(١) كان المستشرقون في القرن الماضي لما بدأوا في التنقيب والفحص عن آثار الأمم الغابرة في العراق قد أطلقوا على لغة تلك البلاد اسم اللغة الآشورية لأن أغلب الكتابات المسمارية كشفت في نواحي نينوى عاصمة آشور القديمة ثم اتضح لهم بعد أن انجلت آثار جنوب العراق أن لفظ آشور لا يفي بالمراد فأطلقوا على كتلة اللهجات السامية في بلاد العراق اسم اللغة البابلية الآشورية على أن المستشرقين الحديثين قد استخلصوا من النقوش المسمارية أن أهل بابل أطلقوا على

كانت أرض العراق الجنوبية التي تجتمع فيها مياه نهري الدجلة والفرات في مجرى واحد قسماً من الخليج الفارسي وقد ظل هذان النهران يجريان منفصلين إلى ما بعد عصر الملك الآشوري سن أحي آر با (سنحريب المذكور في كتب اليهود والذي عاش بين ٧٠٥ — ٦٨١ ق م)

وتنقسم بلاد العراق من الوجهة الجغرافية إلى منطقة شمالية نجدية ومنطقة جنوبية تهامية فأما المنطقة الجنوبية فكانت مسكونة من أقدم الأزمنة التاريخية بقبائل سومرية نجهل زمن هجرتها إلى هذه البقعة كما نجهل مواطنها الأولى

وفي هذه المنطقة الجنوبية من بلاد العراق نشأت الحضارة السومرية ونمت **عصر السومريين** نمواً عظيماً وامتد فيها العمران المزهر الذي كان بعد ذلك أساساً لحضارة القبائل السامية التي غزت تلك البلاد قبل الألف الثالث ق م وكونت ملكاً عظيماً في منطقة بابل .

قد رحل هؤلاء الساميون من الجزيرة العربية أو من ناحية سورية إلى أرض السومريين وغلبوهم على أمرهم وأخضعوهم لحكمهم ولكنهم لم يستطيعوا أن يغلبوهم في الدين والحضارة واللغة وفي كل نواحي التفكير بل كان التغلب في هذه الجوانب للسومريين فتأثر الفاتحون بدين المغلوبين وعمرانهم واقتبسوا خطهم وشوهت لغة الساميين بعد أن امتزجت بعناصر كثيرة من لغة المقهورين وأما المنطقة الشمالية فكانت موطن القبائل الآشورية

ولكي يتمكن من تقدير حضارة بابل وآشور حق قدرها يجدر بنا أن نلم المأمراً موجزاً جداً بتاريخها فإنه لا يمكن البحث في تاريخ نشأة اللغة البابلية الآشورية

لغتهم كلمة الأكادية وكانت منطقة بابل تعرف بأرض أكاد كما يوجد بيان ذلك في النقوش حيث نقرأ فيها أن عدداً من ملوك بابل لقبوا باسم ملوك أكاد وشومر ويبدل هذا اللفظ (أكاد) في التوراة على مدينة أو منطقة في بلاد شenaar (سفر التكوين اصحاح ٢٠ آية ١٠) ولعل هذه المنطقة المسماة أكاد كانت نسبة لأقدم القبائل السامية البابلية التي استوطنت في أرض جنوب العراق

أكاد عوضاً عن أكاد (Akkad)

دون التلميح الى تاريخها السياسى وأخبار حوادثها مع الامم المجاورة لها والنائية عنها

تدل الآثار التى كشفت فى بلدان العراق على أن الساميين الفاتحين لجنوب العراق
كونوا لأنفسهم ملكاً كبيراً فى منطقة بابل حوالى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد وانهم
تركوا المدن الشهيرة فى الجنوب تحت حكم الشومريين

وكذلك تدل الآثار السومرية القديمة على أنها نقشت قبل أن تعمر مدينة
بابل وانه كان فى مكانها معبد سومرى قديم فلما ظهر الملك سرجون الأول حوالى
٢٨٠٠ ق. م وأقام فيها معبداً جديداً لمردوك الذى أصبح الآله الأول لمدينة بابل
وأطلق عليها باب إل (باب الله) تبركا بالآله الجديد

وكان بعض ملوك الشومريين فى المنطقة الجنوبية من بابل الى البحر يعرفون
باسم « ملوك سومر وأكاد »

وقد ظلت معابد الآلهة المختلفة التى فى المدن السومرية القديمة حافظة لنفوذها
وهيبتها فى كل العصور الآشورية البابلية لأن الطوائف البابلية والآشورية كانت
تجل تلك الهياكل والأصنام وظل احترامها زمنياً طويلاً حتى الامم الوثنية التى
خلقت البابليين وكان من أشهر تلك المعابد معبد مدينة أور (Ur) وأجاد أو أكاد
ولاريسا (Larissa) وارودوجا (Uruduga)

وكان ملوك الطوائف من الشومريين يتنازعون الملك فيما بينهم الى أن قضى
عليهم ملوك بابل قضاء مبرماً بعد حروب كثيرة

وكان سرجون الاول أول من أسس ملكاً سامياً كبيراً فى أرض بابل
وحارب الامراء الشومريين ثم خرج من تخوم بلاد العراق واتجه شطر الجزيرة
العربية مع ابنه ناران وقاتل قبائل عربية ذكرت فى الآثار البابلية باسم عرب
ملوكة أو عرب ملوكة وعرب مجان أو معان

ويجب ألا يغيب عن بالنا أن لفظ « بابل » لم يكن يطلق على كل المملكة

البابلية في عهد البابليين بل كانت كل منطقة منها تعرف باسم خاص وكان الملوك البابليون يلقبون بألقاب المناطق التي يحكمونها ولم يطلق اسم بابل على كل البلاد البابلية الا في عهد الفرس ثم انتقل هذا الاستعمال منهم الى اليونان

ولم يكتف سرجون بهذه الانتصارات بل توغل في سورية وفلسطين ووصل الى البحر الأبيض المتوسط وانتقل الى الجزر اليونانية ونشر نفوذ بابل في تلك النواحي النائية

وقد كانت هذه الانتصارات فوزاً باهراً للقوة السامية وتقدماً عظيماً للعصبة السامية اذ دخلت في عهد جديد أمكنها فيه أن تنشر لواء نفوذها على أعم العالم القديم

ولم يتسع ملك هذه الدولة في أي وقت من الأوقات حتى ولا في أزهى العصور البابلية كما اتسع في عهد سرجون هذا ولذلك رفعه البابليون الى مصاف الآلهة ومن ذلك العهد أخذت اللغة السومرية تضمحل وتندهور شيئاً فشيئاً أمام البابلية ولكن مكاتبا الأدبية لم تنحط كثيراً فقد ظل التأليف مستمراً فيها الى زمن طويل

بعد ذلك ظهرت طلائع الجيوش الكنعانية على ضفاف الفرات وكانت قد انتشرت حوالي سنة ٣٠٠٠ ق . م . في سورية وفلسطين وبدأت بعد عدة قرون تجتاز حدود صحراء سورية وتمتد الى نهر الفرات

فلما عظمت شوكتهم في نواحي بابل تدخلوا في شؤون البلاد وجعل نفوذهم يزداد شيئاً فشيئاً الى أن تمكنت احدى أسرهم من أن تعتصب عرش بابل لنفسها وهي أسرة سومابى (Soumabi) وكان ذلك حوالي سنة ٢٣٠٠ ق . م .

وقد كان انتشار الكنعانيين في بابل على النحو الذى اتبعه البابليون في تلك البلاد وقد نحا الآراميون والعرب على هذا النحو عينه فكان التاريخ يعيد نفسه على خطة واحدة مع القبائل السامية التي نزحت من الجزيرة لفتح العراق

وقد كان للأسرة الكنعانية تأثير عظيم في حياة بابل فقد أدخلوا على عقائد البلاد بعض عقائدهم كما كان لغتهم نفوذ كبير في لغة تلك البلاد وهذا يدل على أن الكنعانيين كانت لهم حضارة قبل أن يتغلبوا على بابل كما يدل على تلك العلاقة المتينة التي بين اللغة البابلية واللغة الكنعانية

وسادس ملوك هذه الأسرة هو حموربي^(١) (Hamourabi : عمراقل في التوراة) الذي وضع شريعة نابتة في بابل ضمنها كثيراً من شرائع شومر القديمة وأحكامها ولذلك كانت لشريعة حموربي (عموربي) هذه قيمة تاريخية عظيمة فوق قيمتها الحقيقية لأنها تمثل لنا عقلية بابل وشومر من ناحية وتدل على الروح التي كانت للكنعانيين من ناحية أخرى وهي أقدم شريعة في تاريخ التمدن البشرى شريعة حموربي (عموربي) تعد من أقدم الشرائع البشرية وهي تدل على عظمة بابل في العصور العريقة في القدم كما تدل على ما كانت عليه بابل من العظمة واتساع التفكير في العضلات الاجتماعية والدينية وقد ذاع صيت عموربي في جهات العالم القديم

ومن الأعمال العظيمة التي قام بها حموربي (عموربي) محاربته للأمرء الشومريين وتمزيقه لهم كل ممزق حتى أصبحت له السلطة التامة في جميع البلاد ثم مد نفوذه بعد ذلك الى البحر الأبيض من ناحية سورية وفلسطين ولكنه مع ذلك لم يصل الى العظمة التي وصل اليها سرجون الأول مؤسس مدينة بابل

بعد فناء هذه الأسرة الكنعانية عاد الخط يبتسم للشومريين مرة أخرى إذ استولت على العرش أسرة شومرية من قبيلة كانت تسكن في جنوب بلاد الشومر

(١) نحن نفترض أن اسم حموربي مشتق من لفظي عموربي (عمو يدل على اسم إله من أقدم آلهة الامم السامية) فيكون معنى التركيب المزجي لهذا الاسم « الآلهة عموربي . » كعنى اللفظ العبري ١٦٦٨ « الله ربي » وقد وجد اسم الملك عمري الاسرائيلي في الخطوط المسمارية يكتب بحرفي